

مدارس الفلسفة الإسلامية

الدرس
4

أهداف الدرس

1. أن أتعرف على مدارس الفلسفة الإسلامية؛
2. أن أثبت سماتها وملامحها؛
3. أن أتمثل قيمها الوازنة في توجيه نظري، وتنمية فكري.

تمهيد

إن الدارس لتاريخ الفلسفة وأعلامها ومدارسها يجد أنها شهدت تطورا ملموسا، وتاريخا مشهودا، تبعا لعصورها المختلفة، ومُددها المتباينة؛ حيث تعددت مسالكها طرقا شتى في التفكير والوظيفة والمسار والتوجه، منهاج وأسلوبا، موضوعا وغاية، مشرقا ومغربا، أسهمت في نشاط حركة فكرية أسفرت عن تلاقح وتفاعل وإثمار مستمر، لا ينضب معينه، ولا ينقطع مدده، عبر مساره التاريخي الدائم الحضور.

فما مدارس الفلسفة الإسلامية؟ وما معايير تصنيفها؟ وما أثرها في صناعة الفكر الفلسفي؟

نص الانطلاق

1- قال أبو محمد ابن حزم-عن الفلسفة والمنطق-: «وهذا علم حسن رفيع؛ لأن فيه معرفة العالم كله بكل ما فيه من أجناسه إلى أنواعه إلى أشخاص جواهره وأعراضه، والوقوف على البرهان الذي لا يصح شيء إلا به، وتمييزه مما يظن من جهل أنه برهان، ومنفعة هذا العلم عظيمة في تمييز الحقائق مما سواها». [رسائل ابن حزم 131/3]

2- قال أبو الوليد الباجي: «فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سُبُل المناظرة ناكبين، وعن سنن المجادلة عادلين، خائضين فيما لم يحصل لهم فهمه، مرتبكين ارتباك الطالب لأمر لا يدري حقيقة، والقاصد إلى نهج لا يهتدي طريقه، أزمعت على أن أجمع كتابا عن فن الجدل، يشمل على جُمَل أبوابه، وفروع أقسامه، وضروب أسئلته، وأنواع أجوبته، وأعفِيته من التطويل الممل للمريد، والاختصار المخل بالمقصود...». [المنهاج في ترتيب الحجج، ص7]

الفهم

الشرح:

– **الجدل:** مدافعة رأي الخصم برأي آخر .

– **البرهان:** استدلال عقلي مؤلف من مقدمات يقينية.

– **المنطق:** آلة النظر وميزان مدارك العقول .

استخلاص المضامين:

– أستخلص من النصين أثر الحجاج العقلي في نشأة المدارس الفلسفية.

التحليل

للإنسان متطلبات أساسية، وحاجات ضرورية في التعلم والتحصيل؛ حفظا لوجوده الفكري وضمانا لاستمراره ورقية الحضاري، ونتيجةً للتفاعل الفكري داخل المجتمع الإسلامي في بدايات تكوينه نشأت مدارس في شتى فنون المعرفة الإسلامية: عقدية، وأصولية، وفقهية، وتربوية سلوكية، وغيرها، أسسها علماء أعلام، وأغنتها موضوعات وقضايا كانت موضوعا للنشاط الفكري، والفعل الفلسفي المنتج والهادف، والمساوق للرؤية الإسلامية للكون ومُوجده، وللإنسان والغاية من وجوده، وبناء عليه تنوعت معايير تصنيف مدارس الفلسفة الإسلامية:

المسألة الأولى: المعيار الموضوعي:

يقصد بالمعيار الموضوعي تصنيفُ مدارس الفلسفة الإسلامية على أساس الموضوع الذي كان مجالا للفعل الفلسفي، وإعمال العقل والمنطق المهتدي بالشرع في الدفاع والحجاج تصحيحا للمذهب العقدي أو الفقهي أو غيرهما، وردا على اعتراض الخصم بالبرهان، يقول ابن حزم: «وهذا علم حسن رفيع؛ لأن فيه معرفة العالم كله بكل ما فيه من أجناسه إلى أنواعه إلى أشخاص جواهره وأعراضه، والوقوف على البرهان الذي لا يصح شيء إلا به، وتمييزه مما يظن من جهل أنه برهان» وتأسيسا على ما سبق يمكن الوقوف عند المدارس الفلسفية الآتية:

1- المدرسة الكلامية البرهانية: علم الكلام والجدل يبحث في العقيدة وأصول الإيمان (الإلهيات، والنبوات، والمبدأ والمعاد)، ليثبتها بالعقل والنقل؛ حماية للعقيدة، ودفعاً للشبه حول الذات الإلهية وصفاتها، والمبدأ والمعاد، والقضاء والقدر، والتخيير والتسيير، وله مدارس تتفق في الغاية،

وتختلف في الوسيلة: عقلانية تأويلية روادها المعتزلة، ونصية تفويضية تمثلها المدرسة الحنبلية، ووسطية توفيقية حاملو لوائها السادة الأشاعرة، وعلم الكلام هو «الإنتاج الخالص للمسلمين، وقد صدر هذا العلم عن بناء المجتمع الإسلامي... وصدر المسلمون فيه عن ذاتهم، ومما لا شك فيه أن المتكلمين وقد كانوا في وسط فلسفي وأمام هجمات فلسفية من أديان مختلفة، وعقائد فلسفية متعددة ومذاهب شرقية منتشرة في البلاد التي فتحوها قد أخذوا منها بعض الأفكار الجزئية، ولكن علم الكلام بقي في جوهره العام حتى القرن الخامس إسلامياً بحتاً». [نشأة الفكر الفلسفي 54/1]

2- المدرسة الأصولية الاستدلالية: علم أصول الفقه هو منطق الفقه وفلسفته، يعتمد على آليات الاجتهاد والرأي، ومسالك النظر، وطرائق الاستنباط والتعليل، والنقد والترجيح، له مدرسة علمية قائمة الذات: استقرائية تستدل بالجزئيات على الكلّيات، وهي مدرسة الفقهاء (الحنفية)، واستنباطية تستدل بالكلّيات على الجزئيات، وهي مدرسة المتكلمين (الشافعية)، وثالثة توفيقية تجمع بين المنهجين، حمل لواءها العلامة ابن السبكي، في «جمع الجوامع»، وانتهى علم أصول الفقه إلى مذهب فلسفي متكامل، نظرية في المعرفة، ونظرية في المنهج، وتطبيق لهذا المنهج» [نشأة الفكر الفلسفي 55/1]

3- المدرسة الفقهية الاجتهادية: قام الفقهاء بإعمال قواعد الاجتهاد، ومسالك النظر والاستنباط في تنزيل النص الشرعي على الوقائع والنوازل الفقهية، وصدروا في ذلك عن أصول شرعية عقلية اتفقوا فيها، ومسالك استدلالية عقلية تباينت أنظارهم فيها، فكان من نتاج ذلك مدرسة أهل الأثر، ومدرسة أهل الرأي والنظر، فكانت بذلك للمذاهب الفقهية فرادتها وأصالتها الفلسفية في التأصيل والتنزيل والتعليل.

4- المدرسة الصوفية التربوية العرفانية: تروم بفلسفتها السلوكية وتجربتها العملية العرفانية تنمية الإيمان الداخلي، وتقوية الضمير الخلق، إنابة إلى دار الخلود، وتجاوياً عن دار الغرور، تزلفاً وإخباتاً.

المسألة الثانية: المعيار الشخصي

يرتبط المعيار الشخصي في مدارس الفلسفة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بعلماء أعلام من حيث توجههم الفكري في البناء والتأسيس لمنظومة فكرية معينة، ومدرسة فلسفية خاصة، كلامية، أو أصولية، أو فقهية أو صوفية أو غيرها، وهذه نماذج منها:

1- مدرسة أبي يوسف الكندي -المدرسة الأرسطية- (ت255هـ)

فيلسوف العرب الأول ، تعلّم النحو والعربية ، والفقه وعلم أصول الدين ، لكنه انصرف عن علم الكلام إلى علم الطب والفلك والرياضة والفلسفة ، بزغ نجمه في العصر العباسي الثاني زمن المأمون ، «ثم ذاع صيته ، وانتشرت شهرته وحظوته في بلاط العباسيين عند المعتصم؛ إذ كان مؤدّب ابنه أحمد. كتب الكندي في علوم مختلفة، وتبحر في مختلف أنواعها، وفنونها الجمّة، فكان راسخ القدم فيها، واسع الأفق في مداخلها ومقاصدها، شامل المعارف في أصولها ومعانيها، ضارب الجذور في التربية الحضارية زمن العباسيين». [خطاب الفلسفة العربية الإسلامية: النشأة والتطور والنضوج ، عبد الرحمن مرحبا ، ص 11 بتصرف]

2- مدرسة أبي نصر الفارابي -المدرسة الأرسطية- (339هـ)

انتقل من بلده فَارَاب - مدينة بأرض خراسان ، - كازاخستان حاليا - إلى بغداد وتعلّم بها الفلسفة ، وأتقن المنطق ، حتى سُمّي المعلم الثاني؛ لأنه أدخل صناعة المنطق عند العرب ، باعتبار أن أرسطو - صاحب المنطق - هو المعلم الأول ، من كتبه: آراء أهل المدينة الفاضلة ، وإحصاء العلوم ، وتحصيل السعادة ، والتنبيه على سبيل السعادة ، والجمع بين رأيي الحكيمين ...

3- مدرسة أبي حامد الغزالي -المدرسة النقدية الحجاجية- (505هـ)

أسس أبو حامد الغزالي فلسفته على التجربة أكثر من الرأي ، وكان يرى أن كل الأشياء تفهم وتحقق بالتجارب لا بالأفكار والآراء ، خلف الإمام الغزالي قائمة طويلة من المؤلفات منها: مقاصد الفلاسفة ، وتهافت الفلاسفة ، ومعيار العلم ، ومحك النظر ، والقسطاس المستقيم في المنطق ، والمستصفي في علم أصول الفقه ، وميزان العمل ، والمنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال ...

المسألة الثالثة: المعيار المكاني

يرتبط هذا المعيار بالمنطقة الجغرافية التي نشأت فيها وانطلقت منها بواذر الفكر الفلسفي الإسلامي مشرقا ومغربا ، كلاما ، وفقها ، وتصوفا ، وإذا كانت مدارس الفلسفة الإسلامية مشرقية النشأة ببغداد والبصرة وبلاد فارس مع الكندي والفارابي وابن سينا وغيرهم ، فإن الغرب الإسلامي كان له حظه من الإسهام في تأسيس مدارس فلسفية ، كانت لها خصوصيتها ، ومن أشهر المدارس الفلسفية المغربية وأعلامها:

1- مدرسة أبي محمد ابن حزم الأندلسي -مدرسة نقدية- (ت456هـ):

عالم متبحر في علوم جمة، أصولي مقتدر، وفقهه نحري، ومتكلم نظار، وفيلسوف كبير، تفتقت ملكات تفكيره، وسمت همته إلى دراسة سائر المعارف البشرية، دراسة نقدية فاحصة، فكان له رأي خاص في كل ما يدرسه، مبني على الحجة والبرهان المنطقي، والاستدلال العلمي الدقيق، ومؤلفاته الأصولية والفقهية والفلسفية شاهدة بذلك.

2- مدرسة أبي الوليد الباجي -مدرسة برهانية- (ت474هـ)

فقيه، أصولي، متكلم، نظار، «ترعرع أبو الوليد الباجي وكله إرادة جدية وحزم أكيد، يساعده ذكاؤه الوقاد وتعليمه الأولي، ويدفعه حرص شديد، ورغبة ملحة صادقة في طلب العلم واكتسابه، والتبحر في أنواع المعارف المختلفة، متبعا في ذلك هدي العلماء العاملين، ومقتديا بهم سلوكا وأخلاقا» [الإشارة لأبي الوليد الباجي، ص42]، يقول الباجي: «فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبل المناظرة ناكبين، وعن سنن المجادلة عادلين، خائضين فيما لم يحصل لهم فهمه، مرتبكين ارتباك الطالب لأمر لا يدري تحقيقه، والقاصد إلى نهج لا يهتدي طريقه... أزمت على أن أجمع كتابا عن فن الجدل، يشمل على جمل أبوابه، وفروع أقسامه، وضروب أسئلته، وأنواع أجوبته، وأعفيته من التطويل الممل للمريد، والاختصار المخل بالمقصود...». [المنهاج في ترتيب الحجاج، ص10 بتصرف].

3- مدرسة أبي الوليد ابن رشد الحفيد القرطبي -مدرسة توفيقية- (ت595هـ)

فيلسوف الفقهاء وفقه الفلاسفة، حامل لواء التوفيق بين الحكمة والشريعة، منهجه عقلي استدلالي منطقي، قوامه البرهان والنظر، ومشروعيته كما يقول: «إذا تقرر أن الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات، وكان الاعتبار ليس شيئا أكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه، وهذا هو القياس-وهو التقدير والمساواة والتسوية والاعتبار- فوجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي». [فصل المقال، ص11]

التقويم

1. أبين دواعي نشأة المدارس الفلسفية؛
2. أوضح معايير تصنيف المدارس الفلسفية؛
3. أبرز مكانة المدارس الفلسفية الإسلامية في تجديد المفاهيم والرؤى والقناعات.

الاستثمار

يقول العلامة ابن خلدون: «ولا شك أن كل صناعة مرتبة يرجع منها إلى النفس أثر يُكسبها عقلاً جديداً، تستعد به لقبول صناعة أخرى، ويتهيأ بها العقل لسرعة الإدراك للمعارف... وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية، تزيد الإنسان ذكاءً في عقله، وإضاءة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس...» [مقدمة ابن خلدون 949/3].

أحل هذا النص مبرزا من خلاله وظيفة العقل وأثره في التحصيل والتنمية وتجديد القدرات والطاقات.

الإعداد القبلي

أبحث عن الإشكالية القائمة بين: الأصالة والامتداد في الفلسفة الإسلامية.